٢٤ « العرب » « أهدى الامم لاصول المعيشة الاقتصادية .

٢٤ « العرب » « من أحرص الامم على احترام العهود عزة واحترام الذمة انسانية واحترام الجوار شهامة وبذل المعروف مروءة » (١)

٢٦ « العرب » « أنسب الاقوام لان يكونوا مرجعا في الدين وقوة للمسلمين فان بقية الاقوام قد اتبعوا هديهم ابتداء فلا يأنفون من اتباعهم أخيراً .

فهذه هي الاسباب التي جعلت جمعية أم القرى تعتبر العرب هم الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمة الدينية بل الكلمة الشرقية . والجمعية تسأل الله تعالى أن يوفق ملوك المسلمين وامراءهم للاصلاب في الدين وللحزم والعزم عساهم يحفظون عزهم وسلطانهم الى أن يرث الله الارض ومن عليها وأن يحميهم من التعصب السيئ والجنسيات ومن الكبر والانفة ومن التخاذل والانقسام ومن الانقياد الى وساوس الاجانب الاضداد لئلا يتناهم الخطر القريب المحدق بهم وتخاطفهم النسور الجائعة في مياههم . والله الموفق واليه ترجع الامور .

وهكذا تمت الاجتماعات وختمت المذاكرات وأوفض الجمع على وعد التلاقي .

باب التربية والتعليم

(*)

(لا يسلم وجه الشمس من كلف)

---

(١) وجعلوا اعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون » (١) يكفي برهاناً على ذلك مجاملة أهل الجزيرة لسياح الافرنج — ماعدا تلك الطائفة التي انضم اليها اليوم صباح ونال عليها بعض رتبة باشا — وترحيب اليهود المهجرة للبلاد العربية . وهم اليوم الذين يلون المدن العربية الشمالية في سواحل الشام من الاسكندرونة كاياس ومارسين وسروج ونصيبين والمدن العربية من ولاية حلب وأما جوادهم أيضاً والشام وحلب في القرن السابق فما كانت متولدة من أصل عربي أو جنسي بعض بلد من غيرهم جماعة من الاروام والارمن وجماعة من المسيحيين بنابلس والشام . اهـ

(*) مقتطف من كتاب أصول التربية للمؤلف نشر في القرية

... والأوضاع القومية فلا تجد ... عادة من العبادات الا وقد وجه اليها العلم ضروبا من البحث لاقبل لها بمقاومتها وأصبح ما كان يخيله الناس من اللغات والنقوش اليربائية والحروف معميات لا سبيل الى الاهتداء الى معانيها وقد نبذت مفاليقها وألقت بين يدي العلم مقاليدها وأسلمت اليه أسرارها ولم يغن عن الاغاليط التي شيبها مر الدهور انها قيمت رؤسها في ظلماتها وسترت نواجمها في حنادسها فانه لم يبق في مكنتها ان تفلح في التعمير بالعقل بما لها من القدم فقد عرف سبب حدوثها وكشف الستار عما كانت ترتديه فراعص الاقدمين من المجردات الخيالية فعرف الانسان نفسه وكله دهش واستغراب لخوفه وفزعه لانه قد عرف اليوم كيف نشأت الآلهة (١) ورأى مذاهب كان لها ما للبديهيات من القوة والرسوخ يضاءل وتلاشت امام العلم بالنواميس الكونية التي كان يتوهم ان هذه المذاهب فوقها وأبصر أسراراً مستغلقة كانت تماصت على العقل أذعنت اليه الآن فقضى بحكم فيها بكشف أصلها وبيان منشأها

من الظلم والإجحاف عدم اعتبار هذه الحركة العلمية في تربية الناشئين فلا ينبغي ان لا يدخل المدارس ماوصل اليه العلم من نتائج بحثه الا بعد قرن من ظهوره لو دخلها

(انتقاد آداب اللغتين اليونانية واللاتينية)

أنا لا أريد الآن ان اشتغل من وجوه الانتقاد الا بما يتعلق بآداب اللغتين اليونانية واللاتينية وأقول قد اعتاد المعلمون ان يفردوا هذه الآداب بالدرس دون بقية آثار الاقدمين كما لو كانت آداب كل لغة فرعا مستقلا عن تلك الآثار ولا أراهم يستثنون في ذلك الا الالى وهم عُنيتْ من قبل بدحضه ولهذا تراني ذكرت « لاميل » أسماء آلهة مصر وما ورد من صفاتهم في أساطير الهنود وقصصت عليه أسمهم وقائمهم ويكونون من معارفه القدماء ولم يبق عليه الا ان يعرف كيف أنهم كانوا يوصفون

(١) يشبه كلام المؤلف هاهنا ان يكون تقريرا لمذهب الملاحدين ويدل بفحواه على أنه لا يعتقد بالله ولا بملائكته ولا بصحة المذاهب الدينية في هذين العصرين وينسب الى النواميس الكونية كل ما كان وما يكون ويزعم ان العلم قد هداه الى أصل معنى الالوهية وهذا كله من غرور العقل نعوذ بالله منه ومن الغلو في النظر وما يؤدي اليه من الاشر والبطر. كيف يصل العقل الى كنه الألوهة وهو لم يصل الى كنه نفسه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا. والعذر له ولأمثاله أنهم نشأوا على دين مناقض للعقل

الاسفار ويجوبون الاقطار وكيف ان الواحد منهم كان يظهر في عدة بلدان في هيآت متباينة وهو أمر لا يخفى وقعه .

ذكرت من شعراء الاقدمين عمير وابا دلامة المتأخرين أود لو أذكر ما لاحظته يعود على التلامذة من تفهيم العلمين اياهم ان ديوانيه الموسوم أحدهما بالعلياد (الاوليازه) والثاني بالعديسي هما من ابتكار رجل من الغابرين اذا كان جميع الناس اليوم يعلمون كيف تولدت القصص الشعرية الحماسية في الامم القديمة والحديثة

لاريب ان في هذه القصص محاسن كبرى وعبرا جليلة غير اني رأيت من كل الانسان ان أجعل سيرة أخيل (١) مثلا نموذجيا . لاخيل . تحقيقه في سيرته فان هذا البطل الذي عبث والها من دولة تأثر بتقدمه من منازلة أبطال طروادة الى ان أبى عليه قومه حرية رقيقة كانت محلا لاطماعه وكان بهذا سببا في طول مدة وزايا الحرب وشدائدها لم يكن حقيقا بمدح الآلهة له وميلهم اليه فهو بالظلم واعانتهم اياه على خصمه لشجاعته غير مراعين إغفاله لواجبه قد جعلوا غاية الحرب عبرة سيئة وهي ظفره بهكتور (٢) أي ظفر الطيش الحربي بالوديعة الحسنة

لم يقتصر الاقدمون فيما جهلوا من الامور على تكرهم بعض الاشكال التي هي الآن أساس وجدان الانسان بل انهم تركوا لنا ميراثا من الاباطيل والمناقضات التي تدعو دراسة كتبهم الى بقائها اذا لم يقارنها الاقتباس والمفرط فإن يسير ما نقل الناس من آثارهم قد حمى كثيرا من المظالم القديمة قرونا عديدة من وبال العقل ولا يزال يذودها عنا وان المغرم منا بالمطالعة المفرط في النشأة بين كتبه المفرط فيها بين ابناء وقته نرى في أكثر أوقاته تقلل التأثر جدا يسيرا شائع في الناس من العلل الاخلاقية الكثيرة التي يرجع أصلها الى أخلاق الاقدمين وعوائدهم

ان الحضارة اليونانية كان لها من وجوه الحسن ما يثير الاعجاب بها ولو ان « أخيل » كلفت بدراستها بعدا صادقا لما كتب الا في غاية الرضى عن ذلك ولكني لا أحب ان يكون خدعة التشدد في ميله اليها لما فيها من وجوه القبح أيضا فاشد ما احتقر فيها الرقيق وبخست قيمته ونسيت حقوق البؤساء والمغلوبين فلم يحض عليها

---

(١) أخيل في الاساطير اليونانية كان من ابطال طروادة أصابه بالسهم على قتله باريس في حصار طروادة (٢) هكتور في هذه الاساطير هو ابن بريام وحقيقة وزوج اندروماك وقتيل اخيل قتله أخيل بشجاعة وقل

أحد الهمم لا حيين أو زنا أنبعث من أعماق وجدان الانسان ووصل الينا بعد اختراق حجب من الازمان ولكم هلك في سبيل تلك الحضارة من اجيال وباد من إنسان ولم يكن فيها أحد يعنى بتخفيف مخض البؤس الذي كانت تقاسيه الدهماء ولم يكن العمل يستوجب للعامل أدنى حق من الحقوق لانه لم يكن يصلح الا لأيدي الطغام نعم ان ظاهرها ومنظرها كان موثقا فان ما زدانت به من الفنون والشعر والدين السمح والالهة الباسمين في وجوه الابطال كان يكسو تلك الامة المقبطة برودا جمعت كل ما للكمال المنشود من ضروب العظم والبهاء ولكن العبرة بالمخبر لا بالمنظر .

التاريخ الروماني هو دون التاريخ اليوناني بكثير لا لان رومة لم تنتج رجالا كباراً بل لانها كانت تفرط في عبادة القوة وقد لاقت جزاء هذا الافراط فانها بعد ان استعبدت غيرها من الامم آل أمرها الى استعباد نفسها فانتقل لي هذه الامة الدائحة وقد أظهرت للعالم ما للعالم من النتائج اللازمة ما هي الامم التي علمتها والشعوب التي أساءت شؤونها ؟ أرى الناس تملأهم أخبار غزواتها وتهزهم أحاديث نصراتها ولا أرى أحدا منهم يستقصي أسباب مصائبها ليشفي من جنون الحرب ويبرأ من هوس القتال

اني اذا أقرأت « أميل » اليونانية واللاتينية وجرت له بذلك ينبوع الآداب القديمة والتاريخ كان قصدي منه ولا شك توسيع عقله وتنمية إدراكه بيد اني ارمي الى غاية أخرى أمكن في نفسي من هذا وهي ان أنشئ في نفسه الاستعداد للسلوك في هذا الكون ، ذلك لان ما تتضمنه تلك الآداب من أسمى الاقدام النفسي والاخلاص في العمل وحب الوطن أشد في قلب اليافع تأثيرا وأبلغ في نفسه موعظة من جميع ما يقوله الخطباء ويوصي به الحكماء بل ان في نفس التحمس الذي يبدو منه في استحسانها بذلا لنفسه لانه يخرجها من معقل امتناعها ويخلعها عن عرش صلفها ليسوّيها بمن استحق الحياة استحقاقا صحيحا واني لأفقه من فلاح الطفل الذي لا يروقه شيء وأما من آنس من نفسه التأثر بما لغيره من بهاء العظمة وروقها فذلك الذي أودعت نفسه سراً من أسرار الله ، ان فضائل الغابرين أبلغ من فضائل الحاضرين في خلب الخيال بما عليها من مسحة القوة والبسالة وأعمال اليونان والرومان لبعدها عنا بحسب ترتيب الازمان يحليها البعد والغرابة ببعض الهبات التي قد تغالي بها فتجعل لها من القيمة فوق ما تستحقه ولكن ذلك لا يزيدها الا لجاجة في دعوة الناشئين الى اجلالها واعظام قدرها واذ علمت ذلك رأيتني غير مخطئ في التعويل على تأثير الاقدمين

في ترقية أفكار ولدي وتهذيب خلقه

على أني أعلم حق العلم أن جميع ما خلفوه لنا لا يدعو الى الاعجاب على السواء فما سيبيون (١) الذي جندل آبيال (٢) ودمر قرطاجة (٣) مثلا بالبطل الذي سأسترعي الى سيرته ذهن « أميل » كلا بل اني سأوجه كل همتي الى تفهيمه أن ما يلاقي من الهزائم اجلالا لوجدان الحق أعلى منزلة وأعظم خطراً من الانتصار بيض الصفاح وسمر الرماح وأن المجد الصحيح انما هو في علو النفس وشرفها وسأقول له أرأيت اليوم الذي انتصرت فيه رومة على قرطاجة فذاك هو اليوم الذي وفي فيه ريجولوس (٤) بعهده فانطلق الى أفريقيا وحده لا يثنيه عنه لجاجة زوجته وأولاده ولا دعاء اخوانه وأصدقائه مع علمه بأنه ملاق حتفه وساع الى هلاكه . في ذلك اليوم ظهر أن رومة قد برزت على قرطاجة في صدقها ووفائها ولم يكن تبريزها عليها في غيرهاتين الفضيلتين الا أمراً مرتهنا بوقته اذ كان لابد لقرطاجة من الغلب والقهر

لا مراء في ان الجمهورية الرومانية أيام مجدها وعلوها كانت تسفر عن أخلاق شريفة وطباع كريمة وليس كذلك حالها في عصر تدليها واضمحلالها ولو أني أردت تبعيتر « أميل » علة هذا التدلي له لحصرتها في إعواز الفضائل الجمهورية إعوازا كان سبباً لنجاح الحكم المطلق في رومة وطول مدته فانت أعلم على الحرية ما قد يتنابها من الاخطار المادية ولا أرهب على رومة ان يقف بابوابها التركينيون (٥) او بورشينا (٦) يبتغون الاستيلاء عليها ما دام فيها امثال موشيوس سيفولا (٧) وانما الذي

---

(١) سيبيون واسمه ايمليان الملقب بالافريقي الثاني كان رابع أولاد بولص أميل ولد في سنة ١٨٥ ومات في سنة ١٢٩ ق . م تبناه عمه الذي هو ابن الافريقي الاول من أسرة سيبيون وكان على يده إتمام الحرب الثالثة بين رومة وقرطاجة فكانت هي نهاية هذه الحروب فانه أخذ قرطاجة في سنة ١٤٦ ق . م (٢) ايبال هو قائد قرطاجة تولى قيادة الجيش في الحرب الثانية التي حصلت بين قرطاجة ورومه وبعد انتصاره في مواقع كثيرة هزم سيبيون فانحر بالسم تخلصاً من انتقام الرومانيين

(٣) قرطاجة مدينة أفريقية قديمة (٤) ريجولوس قائد روماني وقعه القرطاجيون لانه أرسل من قبلهم الى رومة للمفاوضة في المبادلة بالأسرى فتكلم في مجلس الشيوخ عليا في هذا الطلب وعاد الى قرطاجة فمات صبراً (٥) التركينيون هم بعض ملوك رومة الاولين (٦) بورشينا هو ملك أتروريا حاول اعادة التركينيين الى ملك رومة فهدده موشيوس

[illegible] هو خليفة الشهر [illegible] الشراة

نفوسنا هي مواطن الظلم ومكامن البغي فالذي علينا هو ان نحاربه فيها ونجليه عنها قبل ان نحاول اجلاء الجبابرة الفاشمين ومن أجل هذا لم يك ينفع بروتوس[١] إذا صار ان يقروا بطن القيصر فان قلب رومة كان مقروحاً بالداء القيصري كان اولى بذلك الرجل وقد أراد ان ينزع تاج الملك ممن كان مستعداً له ان يرجع اولا الى قلبه فينزع منه كبر الاشراف وآفة السراة ثم ينزع ان استطاع من نفوس قرنائه ما علق بها من الرذائل والنقائص التي تقتضي وازعاً يرد من جماحها ويكف من نزواتها ولولا تقصيره في ذلك لاستحق ما اناله من الأعمال الدالة على الشهامة والبسالة ان تبقى به صحف التاريخ بل ان هذه الاعمال كان من شأنها ان تؤخر استقرار حكم الاستبداد ولكنها لا تستطيع ان تقوم بالامة من وهدة انحطاطها

أحدثت في أخريات أيام الجمهورية الرومانية أحداث كثيرة شوهت محاسنها كالنظام العسكري الوحشي وإهدار الدماء وضروب التعذيب والاطماع الخسيسة وبيع الضمائر وتداول أرباب الضمائر والاوتاد والتملق بمجلة الظافر على انه كان لا يزال يظهر في جهات مختلفة من قرارة الدهماء المحكومين المنحطين بعض الاخلاق الفاضلة ظهور الصخور التي تشرف على ما حولها من المياه المنخفضة، ولا قنوط من ارتفاع شأن الحرية ما بقي في الناس أباة للضيم موقنون بظفرهم في الذود عنها فان هؤلاء يشهدون الجهاد في سبيلها وقد يلاقون المزعة فيه ولكنهم لا يشهدون اندثارها اندثاراً لا قيام منه وانما تزهق روح الامل من حياتها متى انحازت العقول بعد كلالها وهي صامتة الى سكومة مطلقة لكنها ساكنة مطمئنة تلين للمحكومين كلما شمرت بازدياد أمنها وزوال مخاوفها فأنشر نظام سياسي على أمة من الامم انما هو الحكم الاستبدادي المجرد من الصرامة والقسوة وكذلك كان حكم أغسطس للرومان

كان عجب الامة في ذلك الحكم لا يزال يتغذى ببعض ضروب من الغرور غريبة ككونها لا تزال خير أمة بل أميرة الامم وكون أعلامها وألويتها لا تزال مبجلة في الخارج وكونها تقتصر على المتوحشين من حين الى حين وكونها صاحبة الآلهة

سيفولا فولى مذعوراً (١) موشيوس سيفولا هو رجل روماني أراد ان يقتل بورسنا ملك اتروريا فأخطأ وقتل كاتم أسراره وأراد بظهر لهذا الملك ثبات الرومانيين فوضع يده اليمنى في جذوة نار مستعرة

وخصب الكامنات ... من الجزيرة والآثار القديمة التي تروق الاجانب وكونت جددت بناء روما وهي المدينة الابدية من قواعدها الى سقوفها — كل هذا صحيح ولكن واحسرتاه فليست نسبة الحيوان ولا إنشاء القلاع والحصون ولا بناء المعابد مما يغني عن الامة من سقوطها شيئاً فقد بقي معبد المشتري المسمى بالقابتول في رومة بعد فناء الرومان

ليس لي الا كلمة اقولها في شعراء عصر أغسطس وهي ان أحسن هؤلاء الشعراء قطعا في نظر المعلمين فرجيل وهوراس فهما اللذان أحب ان تجعل كتبهما في أيدي الناشئين اكثر من غيرهما وان كان كلامها قد تجرد في معظم ما كتب من شرف النفس وكرامتها. ألم يلاحظ من قرأ عينيته(١) فرجيل ان نفس منزاها ملكي وهو مغزى ما كان يرد — على ما أرى — في ذهن شاعر زاهر الخيال في أيام الجمهورية الجميلة فقد وصف فرجيل ممدوحه المسمى عني بالانسان الذي تجلت فيه العناية الالهية وتوحدت في شخصه الامة وبانه المنجي لامته المؤسس لحياة. ومثل هذه المعاني يرى عليها انها موسومة بميسم الملك الذي برزت في عهده ومطبوعة بطابع القرن الذي ظهرت فيه وسواء كانت حسنة او قبيحة من حيث الفن فهي تكشف عن حالة العقول في ذلك العصر وتسفر عن الخطة التي رسمتها لنفسها الحكومة الذاتية حتى في نفوس الخيار من الامة

ان أجود الاشعار وأحسنها ليس في استطاعته ان يحجب دناءة النفس ولا ان يستر خسة الطبع واقد كان شعراء اللاتين قدوة سيئة لخلفهم بما كان يصدر عنهم من ضروب التملق الخسيسة وانواع المدائح التي كانوا يطرون بها أغسطس تحقيقاً لاغراضهم ونيلا لامانيهم فأسفوا به في الدنيا من حيث لا يشعرون وظيفة الكتاب والشعراء المتزلفين على أن فرجيل وهوراس كانا أميري هذه الصناعة ولم يكن غيرهما فيها الا من أتباعهما

أخلص لك ما تقدم فأقول: ان دراسة آثار الاقدمين تختلف ثمراتها باختلاف الطريقة التي تباشر بها فاجلال هؤلاء بلا قيد ولا تمييز ولا نقد يؤدي الى ما تؤدي اليه جميع ضروب الوثنية وهو صغار النفس وختمها ذلك بان ما يؤثر عنهم من المحفوظات والخرافات والكتب والاشعار الحسنة له من الظلم والتحكم في النفوس مالا تقل الخشية منه على الناشئين عن خشية ظلم الحكام الفاشمين وتحكم الطغاة المستبدين

(١) عينية فرجيل قصيدة قالها في مدح عني وهو أمير طروادي ابن انشيز الزهراء وسفه فيها بانه مؤسس النسل الروماني

وهنا يعظم العجب من أنه يعد اليوم من تلامذة اليونان والرومان من يلتمسون في علومهم تبيان وسائل للذود عن مصالح الغابرين ومقالاتهم ومنهم من يرومون منها دروعاً متينة للحرية تكفل عنها عوادي الباغين

نحن على ما فينا من النقائص كلها احسن من الاقدمين حالا وأرفع شاناً وان جاز عليهم الخطأ في والأعمال كما جاز عليهم ذلك لان فينا قوة البحث والارتفاع الى ما انحطت بنو زمانهم الى عاليهم انحطاطاً كبيراً بسعو وجداننا فكانا بتأخرنا عنهم في الوجود قد أخذنا على أنفسنا ان نكون خيراً منهم لان وجدان الواجب كوجدان الحق ينمو ويرتقي بمرور الزمان ولعمري انه لا ينكر ما للتمدن العصري من ضروب التأثير في النفوس والعقول الا مكابر خبيث الطوية ولست أريد بما قلته انا أصبحنا بهذا التمدن اكثر من الاقدمين أخلاقاً فاضلة وطباعاً باسلة ومعارف واسعة ونحنا في الميل الى الحسن كلا ثم كلا بل أريد ان معاني العدل واحترام حق الغير قد شاعت فينا ورسخت في نفوسنا فصرنا اكثر منهم اهتماماً بان يحالفونا في المناصر والاحوال القومية والاقاليم وألوان الجلود فنحن الآن من حيث كوننا من بني الانسان أفضل من اليونان والرومان بعداً عن كل ما له مساس بالانسانية اهـ

﴿ مسألة الشيخ محمد شاكر ﴾

جاء في العدد ٥٥٤٥ من جريدة الديبش تونيزيين تحت هذا العنوان ما نصه نشرت جريدة الديبش تونيزيين الصادرة بتاريخ ٣٠ نوفمبر الأخير فصلا ضافيا بيان نباهة الشيخ محمد شاكر أحد أئمة جامع سفاقس الذي استحضرته الحكومة مقالته نسبة الى الحاضرة بناء على شكوى قدمها اليها قاضي تلك المدينة ومفتيها يريدانه بامتزاع من وظيفة التدريس

وقد أوردنا في ذلك الفصل موضوع هذه الشكوى إذ قلنا إن الشيخ كان في خلال دروسه بالمسجد يطعن في التقاليد ويذكر المعتقدات الباطلة والظواهر الخارجية المنتشرة من خرافات العجائز وتخرصاتهن وأوردنا مثلا عليها زيارة قبور الأولياء المعهودة بتقديم النذور على اعتقاد الحظوة بوساطة هؤلاء الأولياء في تحصيل المنافع ووقاية الذات من طواري الحدثان وقلنا إنه نسب هذه الأضاليل الى ما لا يليق في دين الاسلام الصافي المنهل من بقايا عقائد الوثنيين وقال إن كثيرا من التقاليد التي تسير عليها بعض الطرق الاسلامية كالعيسوية مثلا مناقضة كل المناقضة للقواعد التي بني عليها الدين الاسلامي

ولايخفى ماينجم عن تلك العادات والمعتقدات من إيقاف الأمم عن النهوض من كبوة التأخر ومنعها عن بلوغ الشأو البعيد من التقدم والارتقاء واسدالها ظلمات الجهل الذي يزيد تلك الأمم وأمثالها مصابا على مصابها

فمن الواجب والحالة هذه إنقاذ طبقات الناس من ظلمات التقاليد والبدع والمعتقدات الفاسدة التي لاغرض لاصحابها غير التذرع بها لتحصيل سعادة الدنيا بحمل البسطاء والسذج على الاعتقاد بأنها من الدين وماهي من الدين في شيء بل الدين منها براء

وقد ختمنا ذلك الفصل يومئذ بقولنا «فاذا كان «ذكر» قد وقع فعلا فاننا الأمل الوطيد في أن تقلع الحكومة التونسية عن متابعة أهواء القائمين بأمور الشرع في صفاقس من قاض ومفت بأن تعاقب منهما بيدا في النظر وسمة في الصدر»

وكنا نظن أنه يكفينا مجرد سرد وقائع تلك الحادثة كي تتكفل الوقاية من الاضطهاد لرجل فاضل لاعيب له سوى أنه فاق على أشباهه فوقا عظيما بعد النظر وحرية اللسان وصدق القول وكان يأبى أن يجازى على هذه المزايا بالتشجيع والتعضيد

نأسف الاسف المر أن تكون الحكومة التونسية قد تعمدت ماتعمدته من حتى أفواه في نصرفاتها الى تقريرات المقررين عما لايرضيها فعدلت عن البحث في عواقبه ونتائجه

فنحن إنما نكتب فصل الأستاذ عن وعزله عن قرار من الوزير الأول بل سألت منه لقب «مطوع» الذي يفيد أنه حائز على إجازة في العلوم والفنون في الجامع الأعظم ولذا رأينا أن لانجر ذيل التغافل والسكوت عن هذا الحادث الذي يوجب الكدر والأسف

لم يكن الشيخ محمد بن ذكر الذي فصل من وظيفته من المطاعين في العمر كما تلماه خطأ وإنما هو شاب في مقتبل العمر وعشرة الثلاثين من السنين الأولى من القرن العشرين ومع كونه كغيره من البصر كان في مقدمة طلبة الجامع الأعظم بتونس وقد نال الاجازة العالمية التي استردت منه ظلما وعدوانا وكان ذلك الشيخ الشاب يتوق غير الدروس المعتادة في الجامع الأعظم علوم المدرسة الخلدونية (١) ونجاهر هنا بأعلى صوتنا بأن الفضل الاول لهذه المدرسة الى اقتبس منها تلك الافكار العالية التي انقضت عليه بسببها صواعق غضب الطبقة المتيقظة من المسلمين

ويضاف الى ماتقدم أن ذلك الشيخ ملم بما يحدث الآن في العالم المصري من

(١) المدرسة الخلدونية في تونس تشبه مدرسة دار العلوم في مصر يتعلم فيها بعض طلبة جامع الزيتونة العلوم العصرية

التقدم العلمي وهو في مقدمة المعجبين بالشيخ محمد عبده قاضي القضاة في مصر (٢) الذي يحبو [illegible] الدين ذوي الأفكار الحرة التي توافق المدنية ومن ثقاتهم وله مؤلفات ومقالات في الجرائد تشهد بسعة اطلاعه يقصد بها إعادة الاسلام الى ما كان عليه من الرونق والبهاء من التقاليد والبدع التي من شأنها أن تغرس في القلوب التعصب الديني وعدم الاختلاط والتسامح وتحول بين العالم الاسلامي والمدنية سدا منيعا

هذه الخلاصة تسير عليها جريدة مصرية تدعى «المنار» يكتب فيها الشيخ محمد عبده بدون أن نزيل كتاباته بامضائه وهي حريصة على ملازمة خطتها هذه حرصاً يزداد كل يوم

إن التنسك الاسلامي في هذا العهد — ومنه الناشئون في تونس — قد أيقنوا ان لا تكون نهضة للسلالة العربية الا بمثل تلك الافكار ولهذا تلقت كتابات الشيخ محمد عبده ومقالاته بالصدر الرحيب ومن واجبات الحكومة التونسية في هذا الوقت الذي تنبه التعصب فيه من سباته بالبلاد المراكشية وزعزع عرش سلطان منهم بشدة الميل الى الحديث أن تساعد بما في وسعها من الجهد الافكار التي من شأنها بث مبادئ الاختلاط والتساهل بين طبقات العالم الاسلامي ولكنها بدلا عن ذلك عاملت الرجل الذي لم يخش بأساً بالمجاهرة بأفكاره معاملة الساعي في غرس بذور الفتنة بل معاملة أحقر الناس وأدناهم اذ طردته طرد الاشقياء فأصبح على قارعة الطرقات لا مال في يده ولا أمل في قابله

ولو أن هذا الرجل حاول ان يقلب معالم الدين الاسلامي أو لو أنه أبدى من الافكار والخواطر ما يخالف مبادئه وقواعد هذا الدين لقلنا أن الحكومة التونسية رأت المحافظة على الامن العام والسلام بين الناس فاتخذت قبله وسيلة من وسائل الشدة والجبروت لتكون العبرة الزاجرة ولكنها اضطهدته اضطهاداً ديني الصبغة في حين أن حماية فرنسا على تونس تفيد تصدي دولة متمدنة لافاضة أنوار العلوم على جموع من الناس في حاجة الى التعلم والترقي وأي جناح على رجل لجأ الى الاحاديث النبوية الشريفة مستشهداً بها على فساد ما تذهب اليه العامة من ضرورة ارسال الهدايا الى أضرحة الاولياء لكي تنال المنافع بحسن تأثيرهم في أحوال المعيشة اليومية

قال النبي (صلى الله عليه وسلم) في حديث له «لا تتخذوا قبري وثنا»

وحقيقة الأمر أن ذنب الشيخ محمد شاكر عندي لا يغتفر ولا يعفى عنه بسببه

---

(٢) المراد بقاضي القضاة المفتي الاكبر لانه يفتي للقضاة وقد وضع له هذا اللقب ابتداء

[illegible] المنار

هو تعرف على الناس بعادات يأخذها مشايخ الزوايا والمستفيدون منها مصدراً من مصادر الكسب ويرون ان سيؤول أمرها الى النضوب اذا سادت الافكار التي يأتي الشيخ في بثها بين طبقات العامة

قلنا إن الشيخ محمد شاكر كان استاذاً في مدة قس وان الزاوية التي كان يقوم فيها بوظيفته تسمى بزاوية سيدي (كراي) التي يرى العامة في الولي المدفون بها انه الحامي لتلك البلدة وقد استفادت سلالته بشهرته فمكنوا الى الآن فيها يستأثرون بالنذور التي تقدم اليه وهم يعيشون بواسطتها في نعيم ورخاء فلما اطلعوا على ما كان يلقيه الشيخ محمد شاكر للطلبة من الافكار المغايرة لمصلحتهم ثارت عليه ثورتهم فبدأوا أولا برفع الشكوى الى كل من القاضي والمفتي اللذين استدعيا اليهما الاستاذ وأنبوه على الخطة التي انتهجها في التدريس فاراد الشيخ أن يقيم لهم الدليل على انه لم يمس الدين بشيء مستشهداً بالكتب مؤيداً حجته باقوال السلف الصالح ولكنه عبثاً جاهد في هذا السبيل لان المناقشة بينه وبين القاضي انتهت بقول هذا الاخير له «إن الضوء لا يأتي من اعمى» فأجاب الشيخ محمد شاكر «وأنا ادعو ان يخلص الناس من عمايتهم» فاعتبر القاضي أن هذه الاجابة فاضحة له استلزمت استدعاءه الى الوزارة حيث حاول التبرؤ من الذنب الذي عزى اليه ولكنه لم يكن أمامه إلا سمط حظاً منه امام القاضي

ولكن من الاسف ان الحكم عليه كان صادراً من قبل لان للقاضي والمفتي المنافقين اركانا في الحكومة يستندان اليهم فطلبوا الاقرار على العزل بالرغم عن المساعي العديدة التي بذلت لديهم في صالح المعزول وقد أمضى الوزير الاول هذا القرار بدون ان يكون مقتنعاً بصحة السبب الذي اقتضى الامضاء

هذا تفصيل شرح حادثة الشيخ محمد شاكر أستاذ مسجد سيدي كراي. نقضى على هذا الرجل لانه تجاسر على القول بأن الاباطيل والبدع والتقاليد سواعق الامة وأن أرباب الطرائق الدينية يعيشون من سذاجة الافراد وسرعة اعتقادهم وبهذه المثابة يبتون التعصب في نفوسهم

ولا ننسى ان حوادث مراكش ومشاكل مراكش الحديثة ليست في الحقيقة سوى نتيجة من نتائج التعصب الذي مادام كامنا في أفئدة المسلمين فلا بد لنا أن نتوقع حدوث امثال تلك الحوادث. فلا غرابة اذا زاد عجبنا بعد ذلك من اضطهاد رجل لا ذنب له الا الوعظ لانقاذ أبناء دينه من ربقة الجهل الذي قوس ظهورهم منذ أجيال وناهيك من المشاركة في التقدم الذي يدفع بالانسانية الى الامام اهـ